

دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

د. يعرب النبهان

محاضر في جامعة دمشق

تمهيد:

عندما قام الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي، كانت تسود ظروف ثقافية وسياسية حكمت علماء التاريخ وفرضت عليهم تدويناً للتاريخ غير صحيح، وبالغ الخطورة. ولمّا كان التاريخ يُعدُّ الأب الفعلي لرجل السياسة، فإننا نستطيع أن ندرك أسباب السقوط الذي انتهى إليه العرب.

رحم الله أسلافنا، المصيبَ والمخطئَ منهم، فأنا لا أرغب أن أكون قاضياً ولا أستطيع، فالله هو القاضي، إنما أرغب أن أساعد قومي في تتسم روح الحياة، فقد ذهبنا بعيداً في الهاوية.

أصل اسم عرب:

لكي نعرف أصل الاسم، ينبغي أن نفهم هذه الكلمة في لغة العرب. إن حرف العين هو بمثابة حرف ألف مهموز، أي أجري عليه إبدال، والإبدال معروف في لغة العرب، ومردّه إلى اتصال العرب بجماعات غربية عنهم بحكم عوامل شتى، وهذا الإبدال يكاد يشمل كل أحرف كلمات اللغة، وقد كتب عنه كثيرون من علماء اللغة العربية القدامى والمعاصرون، ومنهم صبحي الصالح أستاذ اللغة والإسلاميات في الجامعة اللبنانية¹.

أما الكلمة رَبّ، فكانت ولا تزال تعني الله، وعلى هذا فإن كلمة أرب تعني أتباع الرب من

¹ دراسات في فقه اللغة، تأليف صبحي الصالح، نشر دار العلم بيروت، ص 21.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

كهنة وخذّامين ومن في صفّهم.

ونلاحظ أن هذه الصيغة ترد بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية، وأستطيع أن أقرر أن الكلمة ربّ، في الأصل صفة للقمر، لأن القمر يولد هلالاً ثم يكبر يوماً بعد يوم حتى ينتصف الشهر، فهو رب أي يكبر ويزيد. وهذا المعنى واضح في اللغة العربية، مادة ريب¹.

إلا أن اسم عرب على أنه شعب لم ينتشر إلا في الألف الأول قبل الميلاد، ويقول نبيه عاقل أستاذ التاريخ في جامعة دمشق، إن هذا الاسم بدأ يظهر في النصوص التاريخية في القرن الرابع قبل الميلاد، ويؤكد نص النمارة الذي يرد فيه اسم امرئ القيس ملك جميع العرب هذا القول².

وأعتقد أن صراعاً سياسياً ودينياً قد جرى في بلاد اليمن في القرن الخامس قبل الميلاد بقيادة مكرب سبأ: كرب إل وتر³، قد أدى إلى هجرة واسعة من أتباع معبد رب أي القمر، وهو الذي يسمى في المراجع التاريخية تالب ريام، ويقع على بعد نحو 40 كيلو متراً شرقي مدينة صنعاء إلى الشمال، وهذه الهجرة هي التي أدت إلى نشر اسم عرب.

الموطن الأصلي للعرب:

إن بلاد اليمن هي الموطن الأصلي للعرب، سواء بالاسم الراهن، أو باسمهم السابق لهذا الاسم، وسبب ذلك أن اليمن تتحكم بطريق التجارة الدولية الآتي عبر البحار باتجاه البحر المتوسط، الذي كان وما يزال عصب العالم وقلبه، إنها اليمن.

وهذا العامل أدى دوراً حاسماً في لغة العرب، وفي ديانتهم، سواء أرضانا هذا أم لم يرضنا، فصيروا الحياة تتحرك وفق قواعد مادية محسوسة وملموسة.

¹ لسان العرب: تأليف ابن منظور، مادة ريب، نشر دار لسان العرب ببيروت.

² تاريخ العرب القديم، تأليف نبيه عاقل، منشورات جامعة دمشق، ص 46.

³ تاريخ اليمن القديم، تأليف محمد عبد القادر باقوية نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ص 65.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

وفق هذا الصيرورة، أخطأ مؤرخونا القدامى السائرون وراء رجال السياسة، باعتبارهم مدينة مكة التي في بلاد الحجاز، قلب بلاد العرب ومنبع الجنس العربي، فمدينة مكة موقع جانبي على الطريق التجاري، لجأت إليه طائفة مغلوبة على أمرها، ولم تستطع تلك الطائفة إلا أن تمثل مرحلة مؤقتة على طرق الحياة، دافعة ثمنها كل شيء.

وابتعدت عواصم بلاد العرب المؤقتة بعيداً عن بلادها الأصلية لتتلاشى على أطراف البحر المتوسط، كأمواج فارقت أسباب الحياة وأصرت على صحة مصيرها.

وفق هذا الخطأ الذي سار عليه مؤرخو العرب المسلمون، كتب ابن حزم الأندلسي كتابه جمهرة أنساب العرب، وقال فيه: جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال هم:

- عدنان: وهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

- قحطان: مختلف فيه.

- قضاة: والأرجح أنه من ولد إسماعيل عليه السلام.

ولا يخفي ابن حزم أن دافعه إلى هذا القول هو الأخذ بالفكر الديني السائد، أي الفكر السياسي¹.

ويحزنني أن أقول إن العرب الذين كانوا في مكة وفي وسط الجزيرة قد انقضوا جميعهم، وحلت محلهم هجرات قادمة من بلاد اليمن، لأن مكة ووسط جزيرة العرب، بلاد قاحلة، غير ذات زرع، لا تصلح لولادة الحياة العربية، ولا لدوامها.

قلب بلاد اليمن:

كان قلب بلاد اليمن في الماضي السابق لدولة الإسلام، مدينة مأرب، والأرض الممتدة بينها وبين مدينة كوكبان على بعد قرابة 260 كيلو متراً غرباً.

وقد عبر عن ذلك في الماضي وجود ثلاثة معابد كبرى في تلك المنطقة، هي:

¹ جمهرة أنساب العرب، تأليف ابن حزم الأندلسي، نشر دار المعارف بمصر، ص 7.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

- معبد مكة أي العرف ورمزه الشمس.

- معبد الفداء ورمزه القمر.

- معبد الجمال ورمز الزهرة.

هذا الثالوث يمثل فكر بلاد اليمن القديمة ووحدتها القومية¹.

وتشير النصوص السومرية التي اكتشفت في بلاد العراق إلى هذه الرموز الثلاثة، وإلى صراع ملوك تلك الأيام، أي أيام السومريين القدماء لتوكيد هذه الرموز².

والسومريون مهاجرون أصلاً من بلاد اليمن، مثل كل عشائر العرب المعاصرة في العراق اليوم، ويمكن من تتبع أسماء عشائر شمر المعاصرة في العراق اليوم، ملاحظة تطابق أسمائها مع أسماء مواقع في محافظة حجة غربي بلاد اليمن اليوم، مثل: شمر، أسلم، صايح، قارة³.

1. معبد مكة:

يقع هذا المعبد في مدينة مأرب، عاصمة بلاد اليمن في العصر السبئي، وهذا المعبد أقدم بكثير من ذلك العصر. ويسمى في النصوص السومرية ننماخ. ويقع اليوم كما تدل آثاره في مدينة مأرب، وكذلك في مدينة صرواح التي كانت عاصمةً قبل مأرب، وتقع صرواح هذه في الغرب من مأرب وتسمى صرواح خولان، وتبعد عن مدينة صنعاء شرقاً 120 كيلو متراً⁴.

وكلمة مكة تعني لغةً، كما يفهم من لسان العرب⁵: العادة والعرف، لأن مك الضرع، يعني

¹ التاريخ العربي القديم، ديتليف نيلسن وعدد من العلماء، ترجمة فؤاد حسين علي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ص 172-243.

² من ألواح سومر، تأليف صمويل كريم، ترجمة طه باقر، نشر مكتبة المثنى ببغداد، فهرس الآلهة.

³ معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، نشر دار العلم ببيروت، مواد شمر، أسلم، صايح، سنجارة.

⁴ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم أحمد المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مدة مأرب ومادة صرواح.

⁵ لسان العرب: تأليف ابن منظور، مادة ريب، نشر دار لسان العرب ببيروت، مادة مك.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

ضغط عليه بمرونة ذهاباً وإياباً حتى يستخرج الحليب منه، فالتكرار المرن هو الأصل في الحركة، وهكذا يتكون العرف، أصل القانون عند العرب.

وقبائل العرب في سورية تستعمل كلمة الثواني بدلاً عن كلمة العرف، وكأنهم يقصدون المكة، لأن كلمة وثن أو وسن تعني في لسان العرب الحدود¹.

إن كلمة مكة أو المقة كانت معروفة ومقدسة في العهد السبئي. وكانت معابد هذه الإله تنتشر في بلاد اليمن، وفي مختلف البلدان الممتدة من السودان حتى أطراف إيران الشرقية، ويقول ديتليف نيلسن في كتاب التاريخ العربي القديم: من الغريب مثلاً أن الإله السبئي العظيم المقة لم يعرف لهم، أي العرب ولو اسماً. فذلك الإله ظل نحو ألف عام وهو أكبر إله عرفته بلاد العرب الجنوبية، وقد ورد ذكر اسمه أكثر من ألف مرة في النقوش الدينية، وكانت معابده أكبر معابد عرفتها الجزيرة العربية².

وكان يطلق على ملك سبأ اسم مكرب، ومعناها كاهن الرب، أي الذي يحكم بالعرف باسم الرب³.

في السودان كان أشهر معبد عندهم معبد الماك، أي المكة، في مملكة نبتة، ويوجد تمثال في موقع النقعة للمعبود أيد ماك برأس أسد متوج ويدين آدميتين وجسم ثعبان ضخمة⁴.

وحتى اليوم يطلق في السودان اسم الملك على رئيس البربر وهم جماعة تنتشر على جانبي النيل، ومدينتهم العاصمة اسمها بربر⁵.

¹ المرجع السابق، مادتا: وثن - ووسن، ومادة حدد.

² التاريخ العربي القديم، ديتليف نيلسن وعدد من العلماء، ترجمة فؤاد حسين علي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ص 177.

³ المرجع السابق، مادة مكرب، ص 75.

⁴ تاريخ السودان القديم، تأليف محمد إبراهيم بكر، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ص 185.

⁵ الموسوعة الإسلامية المترجمة عن الإنكليزية، مادة بربر.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

وقد كان للمكة معبد ضخم في الجهة الشرقية الشمالية من خراسان، عند احتلال العرب المسلمين المنطقة أيام الخليفة عثمان، في النصف الأول من القرن السابع الميلادي في موقع النوبهار. يقول عنه ياقوت الحموي¹ ما خلاصته: " أقيم على صورة مكة التي بالحجاز، وكان كاهنه يسمى برمكة. وكان حول بيته 360 مقصورة يسكنها خدامه وكهنته. وكان يزوره ملوك الهند والصين. وفي أيام عثمان بن عفان انتهت كهنته إلى والد خالد البرمكي، الذي أسلم فهاجمه نيزك ملك الترك وقتله وأباد أولاده إلا خالداً وكان طفلاً، ومنه جاءت الأسرة البرمكية الشهيرة في العصر العباسي".

إن معبد مكة يعود إلى أزمنة قديمة، فقد كان موضع تقديس عظيم عند السومريين، ويتضح هذا من النصوص السومرية، ويفهم من هذه النصوص أن معبده كان محل مدينة مأرب اليوم².

إن سفر التكوين، أول أسفار التوراة، يبدأ في الإصحاحات الأولى منه بالحديث عن الرب الإله، وعن عملية الخلق، وعن الإنسان الأول، وعن الجنة وأنهارها، تدور مقالته حول معبد مكة ومدينة مأرب، وإن كان حرص على إعطاء ذلك زمناً قديماً غير معلوم، إمعاناً في غيبتيه، وإلا فما معنى هذا النص؟

هناك المقل وحجر الجزع. واس " وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤؤس اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون، وهو المحيط بجمع أرض كوش.

واسم النهر الثالث حداقل، وهو الجاري شرقي آشور. والنهر الرابع الفرات .

¹ معجم البلدان، ياقوت الحموي، نشر دار صادر ببيروت، مادة نوبهار.

² من النصوص السومرية، تأليف صمويل كريمر، ترجمة طه باقر، نشر دار المثني ببغداد، مادة ننماخ من فهرس الآلهة.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

إن عدن هي وادي أدنة، الذي تتجمع فيه مياه سد مأرب¹ ويمتد إلى الغرب من مدينة مأرب. وإن فيشون يطلق اليوم على أضخم أودية عسير النازلة نحو البحر الأحمر، واسمه الحقيقي "بيشه" ويمكن رؤيته في أي خريطة للمنطقة، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة، أي هو الذي يحد أرض خولان صعدة ذات المناجم من الشمال.

وإن جيحون هو اسم مرادف لاسم مور، أضخم أودية اليمن النازلة إلى البحر الأحمر في محافظة حجة، واسم جيحون مثل اسم مور في اللغة العربية²، وكوش هي قيس، وهي بلدة في أسفل هذا الوادي³.

وإن حداقل هو الحدا، وهو وادي هام في الجهة الشرقية من بلاد اليمن تسيل مياهه إلى سد مأرب. وأشهر بلدة في ناحية خولان إلى جهة الغرب من هذا الوادي اسمها الفعلي مسور⁴.

وإن الفرات هو جبل برط في الجهة الشمالية الشرقية من بلاد اليمن. وتنزل عدة وديان من الجبال الغربية إلى السهل المجاور لها الجبل وأهمها وادي مذاب⁵.

ولا نعلم هل كانت السواقي التي كانت تؤخذ من مياه سد مأرب تحمل أسماء الوديان المشار إليها، ولكنها إذا صح ذلك تشير إلى حرص دولة سبأ على وحدة أراضيها، وذلك بإطلاق أسماء وديان بلادها على سواقي ذلك المشروع، علماً أن سفر التكوين لا يلح بأي شكل بعد إصباحاته الأولى إلى سد مأرب ولا إلى أي زراعة كانت تقوم عنده.

إن معبد مكة كان يسمى نسر رمز الشمس، جاء في القرآن الكريم⁶: [ولا يغوث ويعوق ونسرا].

¹ سفر التكوين، الإصحاح الثاني، والآية الأولى.

² لسان لعرب، تأليف ابن منظور، نشر دار لسان العرب، مادتا: جوح ومور.

³ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادتا: مور وقيس.

⁴ المرجع السابق، مادتا: الحدا ومسور.

⁵ المرجع السابق، مادتا: برط ومذاب.

⁶ القرآن الكريم، سورة نوح، الآية 23.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

وهذه الأسماء هي أسماء المعابد التي نحن بصدد الحديث عنها. وقد سميت القبائل التي كانت تعيش حول معبد النسر والتي هاجرت إلى وسط الجزيرة العربية باسم نزار¹. وواضح أن الاسم فيه إبدال بحرف الزاي، وتوكيداً للانتماء إلى هذا المعبد، كان عيسى بن مريم عليه السلام يسمى نزار يوس²، وقد سمي أنصاره (نصارى) وأطلق عليه لقب مسيح، أي: مكة وليس مساً بمعنى المسح بالزيت كما يذكر في قاموس الكتاب المقدس، فهذا كلام يقصد به إخفاء موضوع مكة الذي يرفضه أهل الفكر اليهودي.

2. معبد الفداء :

ويسمى معبد تالب ريام ويبعد عن مدينة صنعاء شرقاً إلى الشمال نحو 40 كيلومتراً. وهو معبد قديم جداً، يرد ذكره في النصوص السومرية باسم "أرتا" أي عرتا، ويروي النص السومري أن أنمركار ملك أرك ضغط على أهل تلك المدينة ليشاركهم في ثروتهم الهائلة، كي يتمكن من القيام بإصلاحات في المعابد الأخرى، يقول النص³: " في سالف الزمان كان السيد الذي اصطفته أنانا في قلبها المقدس.

من بلاد شوبا

أنه أنمركار بن الإله أوتو

من أخته ملكة الخير

التمس من أنانا المقدسة

يا أختاه أنانا من أجل أرك

دعي أهل أرتا يصوغون الذهب والفضة

دعهم يأتون بحجر اللازورد النقي من الصفاح

¹ جمهرة أنساب العرب، تأليف ابن حزم الاندلسي، نشر دار العلم، مادة نزار.

² ماتي والماتوية، تأليف جيو واينفريين، ترجمة سهيل زكار، نشر دار حسان، ص 31.

³ من ألواح سومر، تأليف صمويل كريمر، ترجمة طه باقر، نشر دار المثني ببغداد، ص 70.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

اجعليهم يجلبون الأحجار الكريمة

ولأرك البلد المقدس

ولبيت أنشان حيث تقومين هناك

دعيهم يبنون

وفي الجيبار المقدس حيث أقمت مسكنك"

ومن البداية يشير النص إلى أنانا أي القمر الذي يقوم المعبد على اسمه، ويحدد النص أن الملك من بلاد شوبا أي سبأ، وأنه ينتمي إلى عبادة أوتوأي "تي" وهي الديانة العامة للبلاد. ويرمز الاسم للشمس. واسم سبأ معروف، وتقديسها للشمس معروف. والكلمات أنانا وأوتو بالمعنى الذي ذكرت ترد في فهرس الآلهة في آخر الكتاب.

أما الاسم شوبا فلم ينتبه الكاتب إلى معناه، وكذلك لم ينتبه الكاتب إلى المنظومة الدينية لأهل البلاد، واللفظ أنانا يعني الهلال. إن أرك عاصمة البلاد، وهي اليوم قرية شمالي مدينة صنعاء تسمى عروق¹، ويرد اسم أرك في السطر السادس من النص.

وإن الاسم أرتا أي عرتا مدينة المعبد يرد في السطر السابع من النص، ويرد الاسم في سفر التكوين: أراط (وهي المدينة القريبة من الجبل الذي وقفت فوقه سفينة نوح)، ويبدو أن اسم مدر مرادف للاسم عرتا، وهو الاسم السائد اليوم. وهو الاسم الذي حملته قبائل المنطقة التي كانت تسكن وسط الجزيرة العربية عند قيام الإسلام، واسمها يلفظ في المراجع التاريخية الإسلامية مضر.

أن الاسم أنشان الذي يرد في السطر 19 يعني أنس²، وهي اليوم منطقة تقع جنوب شرق صنعاء بأكثر من 60 كيلو متراً، وورود هذا الاسم يعطينا فكرة عن اتساع دولة أرك.

وإن الاسم جيبار الذي يرد في السطر الأخير يعني جبر، وهي قبيلة تسكن اليوم في الجهة

¹ سفر التكوين، الإصحاح الثامن، الآية الثامنة.

² معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، ترجمة طه باقر، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة أنس.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

الشرقية من محافظة صنعاء، وهي إحدى قبائل خولان صنعاء الكبرى. وواضح كما قلت سابقاً أن ملك أرك يريد أن يشرك كل معابد الدولة في الداخل الذي يحصل عليه معبد مدر، وهو الذي يسمى تالب ريام، معبد أنانا أي الهلال. هذه صورة عن هذا المعبد، وهذه صورة عن الديانة العامة في بلاد اليمن القديمة. تلك الصورة التي لم يقبل بها كهنة معبد مدر، الذين انتهى بهم الأمر إلى الانفجار الذي حصل في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، في عهد المكرب السبئي إل وتر، وأدى إلى هجرات القبائل العربية إلى وسط الجزيرة العربية¹ كما سبق ذكره.

3. معبد الزهرة:

ويسمى فطرة، وقد اندثر هذا المعبد اليوم، ولكن اسم المعبد ظل قائماً وهو كوكبان، التي تقع غرب مدينة صنعاء إلى الشمال. والاسم فطرة كان يطلق على القسم الذي ينتمي إلى هذا المعبد من قبيلة طي التي كانت تسكن بلاد نجد قبل الإسلام². وكلمة فاطر في لسان العرب تعني كوكب الزهرة لأنها أول النجوم ظهوراً³، ويسمىها اليمانيون القدماء عشتار. ويرد اسم معبد الزهرة في القرآن الكريم⁴: ﴿وَقَالُوا لَا تَتَذَكَّرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذْكُرُوا وَلَا سِوَاكَ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وواضح أن كلمة يعوق هي نفسها كلمة عشتار، وتوجد قبيلة من قبائل الازد اسمها عك⁵.

¹ تاريخ اليمن القديم، تأليف محمد عبد القادر بافقيه، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ص 65.

² جمهرة أنساب العرب، تأليف ابن حزم الأندلسي، نشر دار المعارف بمصر، ص 84.

³ تاريخ العربي القديم، ديتليف نيلسن وعدد من العلماء، ترجمة فؤاد حسين علي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ص 192.

⁴ القرآن الكريم، سورة نوح، الآية 23

⁵ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المخفي، ترجمة طه باقر، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة عك.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

يبدو أن أصلها من جهة هذا المعبد. وقد سمي المسلمون السيدة فاطمة بنت النبي محمد (ص) الزهراء، كما سموها "فاطر" تكريماً لها وتأكيذاً للتواصل مع الماضي.

ديانة العرب القديمة:

تشير النصوص السومرية إلى أن ديانة العرب كان اسمها "تي" وقد مر معنا ذلك في النص الذي سبق عرضه والذي اعتبر فيه أنمر كار ملك أرك: ابن أوتو. وكلمة أوتو كانت سائدة عند المصريين القدماء.

ونسبة إليها دعا أحد الملوك نفسه أخناتون أي عبد "أتون" وذلك في سنة 1370 قبل الميلاد، وقاد ثورة دينية على فكر "أمون" أي القمر، وهي الاتنية¹، وثورة أخناتون هي محاولة لإحياء الفكر القديم ورمزها حر أي النسر².

ويرد في النصوص السومرية أن الرئيس الديني كان يدعى "با" وهذا الاسم استمر حتى اليوم في الديانة المسيحية، ويلفظ بابا أو أب، واشتهر بهذا اللفظ قائد الثورة الخرمية، أي الحر مدية، والاسم يجمع بين حر أي فكر الشمس، ومادة، أي الشيوعية التي كانت تسود الفكر الديني من قبل صلب عيس بن مريم³. وقد قامت ثورة الخرمية بقيادة بابك أي الباب سنة 202 هجرية وانتهت سنة 223 هجرية⁴ بإعدام قائد الثورة في سامراء بالعراق.

ولا نستطيع أن نحدد كيف كانت ديانة الشمس، لأن الفكر اليهودي القائم على استلهام يهوه قد تمكن من اغتصاب الإسلام والمسيحية لمصلحته، وهذا واضح إلى أقصى حد في الكتب المقدسة عند أصحاب الديانتين.

فالديانة القديمة في جوهرها تعني الطيء، أي: النية وباطن النفس. والشمس تعني الحرية

¹ مصر، تأليف دريوتون وفاندته، ترجمة محمد شفيق غربل، نشر مكتبة النهضة المصرية، ص 84.

² المرجع السابق، ص 149.

³ أنجيل متى، الإصحاح، 2 27.

⁴ البابكية، تأليف حسين قاسم عزيز، نشر مكتبة النهضة ببغداد، ص 247.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

وتعني الحياة، غير أن الصينيين المعروفين بحكمتهم ما زالوا يطلقون على العرب كلهم اسم "تاش" أي ¹طي¹ وكان غزو اليهود لبلادهم لم ينته بعد. وهذا الاسم ما زال يطلق على بلاد الصغد القديمة²، أضخم قاعدة للفكر المانوي، فكر طي قبل الإسلام، وهي طاجاكستان، أي بلاد تاش، والتي كانت تمثل حلم الديانة القديمة، الذي تلقى لطمة قوية في زمن الخليفة العباسي المهدي خلال الثورة التي قادها هاشم بن حكيم، والذي سمي المقنع الأزدي.

خولان:

تعني هذه الكلمة في اللغة العربية الخدم³ والحشم. وعندنا في سورية يلاحظ وجود أسر منصرفة لخدمة المزارات تحمل اسم خدام، ويبدو أن هذه التسمية معروفة في بلدان أخرى بدليل أن الملك السعودي يطلق على نفسه رسمياً اسم خادم الحرمين الشريفين، ويقصد مزار مكة ومزار المدينة المنورة أي إن اسم خادم هو لقب شريف بالمفهوم الديني.

وفي القديم، وبسبب وجود المعابد الدينية الكبرى التي مر ذكرها في بلاد اليمن، صار أهل المنطقة الممتدة من مأرب حتى كوكبان كلهم خدامين لهذه المزارات الثلاثة، واستقر على هؤلاء الناس اسم خولان أو اسم سماعين، ومعنى اسم سماعين هو السامعون لله.

أقدم نص حول هذا المعنى لأهل تلك المنطقة المتقدمة الذكر، نص سومري، يطلق عليه العالم صمويل كريمر اسم خلق الإنسان، لأن كريمر لم يدرك معنى النص⁴. وسأعرض هذا النص بهدف توسيع المدخل إلى تاريخ العرب القديم :

يقول كريمر: تبدأ القصيدة بما يمكن أن يكون وصفا للمصاعب التي كانت تُلَاقِيها الآلهة

¹ العرب والملاحة الدولية، تأليف جورج فضلوا حوراني، ترجمة يعقوب بكر، نشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص 199.

² تاريخ بخاري، تأليف الترشيخي، ترجمة عن الفارسية أمين عبد المجيد بدري ونصر الله الطرازي، نشر دار المعارف بمصر، ص 94.

³ لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر لسان العرب ببירות، مادة خولان.

⁴ من ألواح سومر، تأليف صمويل كريمر، ترجمة طه باقر، نشر مكتبة المثني ببغداد، ص 198.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

في الحصول على قوتهم، ولكن أنكي، إله الماء، ظل مضطجماً في مياه العمق، غير مكترث لشكايتهم، فتخاطبه أمه نمو، التي ولدت جميع الآلهة :

يا بني قم من فراشك ومن..... وأعمل ما هو حكيم لائق.

اصنع عبيداً للآلهة، عساهم يضاعفون من عددهم.

فتدبر الأمر وقاد جميع الصنائع المهرة اللاتقيين وقال لأمه:

يا أماه إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود.

فاربطي عليه صورة الآلهة

إعجني لب الطين الموجود فوق مياه العمق.

واجعلي الصانعين المهرة يكتفون الطين.

وعليك أنت أن توجدي له الأعضاء والجوارح.

وستعمل ننماخ من فوق يدك.

وستقوم بجانبك إلهة الولادة

يا أماه قدرني مصيره.

وستربط ننماخ عليه صورة الآلهة.

إنه الإنسان.

إن أسماء الآلهة التي ترد في النص هي: (1) نمو، (2) أنكي، (3) ننماخ، وهذه الأسماء هي أسماء مدن كل واحدة منها دولة في منطق تلك الأيام. وسأوضح فيما يلي مواقع تلك المدن:

1. نمو:

هذا الاسم هو نعمان، ويرد هذا الاسم أي اسم نعمان أو مشتقاته كثيراً في كتاب القرآن¹ مرتبطاً باسم الجنة. ويرد اسم نعمان أو مشتقاته عدة مرات في كتاب معجم البلدان والقبائل اليمينية، وهذه الأسماء تقع غالباً على الطريق التجاري بين مدينة مأرب وجنوبي البحر

¹ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقر، نشر دار الأندلس، مادة نعمان.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

الأحمر. وأقدر أن نعمان المقصودة ينبغي أن تكون قريبة من أنكي وننماخ، وأرجح أن هذه المدينة هي المدينة الخربة التي تسمى "يكلا"،¹ وتقع هذه المدينة في أعلى عزلة الكميم بناحية الحدا شرقي مدينة صنعاء إلى الجنوب، وتسمى اليوم "النخلة الحمراء" ويسمى الوادي الذي تقع فيه "الزيلة". وقد عثر فيه على تمثال الملك السبئي ذمار علي وتمثال ولده، وذلك سنة 1348 هجرية. وأقدر أن قبيلة ذي الكلاع² الحميرية الشهيرة تنسب إلى هذه المدينة.

2. أنكي:

هذه الكلمة تحتاج إلى تحليل، فحرف "أ" مثل "أل" التعريف في لغة العرب القديمة. ولفظ نكي هي لفظة نقعة³ العربية والنقعة يقول عنها ابن منظور هي الماء المستتقع في المسيل، ومعنى ذلك أن اسم أنكي هو المكان الذي يسمى عدنة أو عدن⁴. ويقصد به مدينة صرواح⁵ الواقعة في الجهة الغربية الجنوبية من مأرب والتي كانت عاصمة قبل مأرب في أوائل الألف الأول قبل الميلاد.

ويرد اسم عاد⁶ أي عدنة وهي أنكي كثيراً في كتاب القرآن. مقترنة أحياناً باسم ثمود⁷، وكلمة ثمود تعني الماء القليل، إلا أن الاسم يرد في المراجع الخاصة بقبائل العرب مثل معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة: صمده⁸، وكلمة صمده⁹ تشير في كتاب لسان العرب إلى

¹ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف محمد إبراهيم المفحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة بكلا.

² المرجع السابق، مادة ذي الكلاع.

³ لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر لسان العرب ببيروت، مادة نقع.

⁴ المرجع السابق، مادة عدن.

⁵ المرجع السابق، مادة صرواح.

⁶ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقر، نشر دار الأندلس، مادة عاد.

⁷ المرجع السابق، مادة ثمود.

⁸ معجم قبائل العرب، تأليف عمر رضا كحالة، دار العلم ببيروت، مادة صمده.

⁹ لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر لسان العرب ببيروت، مادة صمد.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

الصلابة والشدة في الدين، جاء في القرآن: [الله الصمد].

وقد حملت إحدى القبائل البربرية، نسبة إلى بر ومعناها الكاهن. حملت اسم مصمودة، وكان فرع منها اسمه برغواطة¹ استقر في منطقة السوس في مراكش، يمثل هذا التشدد، وهو شبيه بالخوارج في المشرق. فكلمة بر تعني كاهن، وكلمة غواطة تعني معبد الغوث، المعبد الديني المتشدد.

إن أنكي هي الفينيقيون، والاسم فينيقي مشتق من اللفظ "بانكي" أي بونقعة.

3. ننماخ:

هذا الاسم هو المدينة العاصمة مأرب ولفظة نن نستعملها عندنا في سورية بمعنى الأكل والغذاء، أو الخبز، وترد في كتاب لسان العرب: نم أو نمى²، بمعنى الزيادة والبركة. وماخ، تعني: ماك، أي مكة، والمك³ هو العادة، التي يتولد منها العرف. ومنذ آلاف السنين السنين غير المحدودة ترسخت مكة في عقل العرب وضميرهم، كوسن لهم، يحكم حياتهم، ولا تزال، يمثل القانون المكتوب المرتكز على الدين، بالنسبة لها، ظاهرة سطحية، وهي كما يقول الشاعر:

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كباقى الوشم في ظاهر اليد

ولا شك أن مسألة خلق عبيد للآلهة كانت المدينة العاصمة معنية بها بالدرجة الأولى، فحولان أو السماعون كانوا وما زالوا القوة الرئيسية الفاعلة بيد الدولة. لقد حاول سفر التكوين أن يشق حولان لمصلحته، فاعتبر إسماعيل أي السماعيلين ابنا لإبرام ولكنه يبدو من خلال نصوص السفر أن التوفيق لم يحالفه.

¹ الموسوعة الإسلامية المترجمة عن الإنكليزية، مادة برغواطة.

² لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر لسان العرب ببيروت، مادة نمى.

³ لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر لسان العرب ببيروت، مادة مك.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

وهذه الأبوة كما أرادها سفر التكوين استمرت مرفوضة دون موارد. إذ ينبغي أن يكون واضحاً معنى الآيات القرآنية عن إبراهيم: [فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال: هذا ربي، فلما أفل، قال: لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي، فلما أفل، قال، لئن لم يهني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي هذا أكبر، فلما أفل قال: يا قوم إني بريء مما تشركون]¹.

إن ماني الذي أعدهم بهرام ملك الفرس سنة 276 للميلاد، وهو مؤسس الديانة المانوية، كان واضحاً في ذهنه دور اليهود في تدمير الحضارة القديمة، ولم يكن يعطي أي تقدير للأسفار اليهودية أو الأنجيل المسيحية، وتنظيماته الدينية تشير إلى ذلك :

إن السماعيلين، الذين يسميهم سفر التكوين إسماعيل، والذين هم خولان في اليمن، طبقة دينية تشكل الكتلة الرئيسية للتنظيم، دورهم خدمة القيادة، أي تشكيل إطار حول القيادة دوره تنفيذي².

لقد حول إبراهيم طبقة إسماعيل إلى مجرد عشائر عادية، وهذه الصورة نلاحظها في تحول أبناء يعقوب أي إسرائيل، النقباء الاثني عشر³ إلى آباء لعشائر بني إسرائيل، وواضح تدمير الفكر القديم بتلك الإسقاطات.

إن اسم نقباء اسم معروف في الديانة القديمة، أخذ به فكر عيسى فسمي تلاميذ عيسى الاثنا عشر حواريين⁴ أي إلهيون نسبة إلى حر إله الشمس، ومعنى ذلك تشكيل لجنة مصغرة للسماطين الخولان، وأخذ به الإسلام على نطاق ضيق. إذ يقال أن النبي محمد (ص) شكل

¹ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآيات 76-78.

² ماني والمانوية، تأليف جبر وايد نفرين، ترجمة سهيل زكار، نشر دار حسين، ص 125.

³ سفر التكوين، الإصحاح 37، الآية 5.

⁴ أنجيل متي، آية 23، وأنجيل يوحنا، إصحاح 4، آية 27.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

لجنة من اثني عشر نقيباً تنتظر في أمور الأنصار أهل مدينة يثرب قبل هجرته إليهم¹.
إن لقب نقيب كان معروفاً في العهد السومري، فالاسم يرد في النصوص السومرية في حالة الجمع: أنوناكي، يقول نص سومري :
لم يعرف الأنوناكي أكل الخبز
ولم يعرفوا لباس الحلل
كانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام
ويشربون الماء من الجداول
وقد لاحظت في المراجع اليمنية أن لقب نقيب يطلق عندهم حتى اليوم على شيوخ العشائر في المنطقة الشرقية من بلاد اليمن، أي منطقة قبائل خولان وما يمتد على موازاتها جنوباً وشمالاً.
إن نقيب كما يستعمل اليوم، أو حواري كما هو في المسيحية، أو أنوناكي كما هو عند السومريين، رتبة تنظيمية للخولان أي جمهور ديانة الشمس القديمة وهم السماعون.

التغلغل اليهودي

جاء في سفر التكوين²، أول كتب اليهود وأهمها : " وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وساراي كتنه امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. وكانت أيام تارح مئتين وخمسين سنة. ومات تارح في حاران "

إن أور يرد اسمها في معجم البلدان والقبائل اليمنية: "عوير". وهي كما يقول المعجم: من قبائل سحار، في الجنوب الغربي من صعدة في جبل عویر المطل على المنطقة الجنوبية

¹ تاريخ العرب القديم، وعصر الرسول، تأليف نبيه عاقل، من منشورات جامعة دمشق، ص 43.

² سفر التكوين، الإصحاح 11، الآية 31.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

والشمالية في جنوب غربي المحافظة¹.

ويفهم من النص، أن هذه المنطقة كانت موطن أسرة أبرام الأصلي، وقد يكون من المفيد أن نعلم أن كلمة سحار من السحر، وهو عمل يقرب من الشيطان وبمعونة منه². وتلفظ كلمة سحار بحرف الصاد أي صحار، وكلمة صحار تعني الأبيض الأحمر وجمعه صحر³.

إن الاسم كلدانيين التي تنسب له قرية أور في النص، هي جلدان، وهي كما يقول معجم البلدان والقبائل⁴ اليمنية قرية في منطقة سحار، اليوم، أي إن النص في سفر التكوين لا يدور حول مدينة أور المشهورة في العراق.

وإن الاسم كنعان ليس كما يتبادر للذهن بلاد في سورية، إنما هي دولة صغيرة كانت في اليمن نسبة لجبل كنع الواقع شرقي مدينة صنعاء إلى الجنوب قليلاً⁵.

وإن حاران هي قرية تقع في وسط وادي حيران، وهو واد مشهور، تأتي مياهه من أسفل منطقة حجور شمال مدينة حجة ويصب في البحر الأحمر، وتبعد حيران عن مدينة حرض 19 كيلو متراً⁶.

ويفهم من النص، أن الأسرة انتقلت من جنوب غربي مدينة صعده باتجاه جنوب غربي المنطقة مسافة تقارب المئة كيلومتر، وأن الأسرة أقامت في حيران مدة طويلة ولا يعلمنا النص مهنة الأسرة في منطقة يشتغل أهلها بالزراعة وتكوينهم الاجتماعي عشائري. يقول سفر التكوين: "واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة".

¹ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء. مادة سمار.

² لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر دار لسان العرب، مادة سحر.

³ المرجع السابق، مادة صحر.

⁴ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة جلدان.

⁵ المرجع السابق، مادة كنع.

⁶ المرجع السابق، مادة حيران.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

إن اسم شكيم هو سخيم، وهي كما يقول المعجم قرية من قرى جبل حفاش بمنطقة المحويت، وسخيم هذه عشيرة كان لها أهمية في العصر السبئي وتقع سخيم إلى الشرق من وادي حيران، تبعد عن مدينة صنعاء أقل من مئة كيلو متر¹.

ويفهم من النص أن أسرة أبرام انتقلت شرقاً إلى الجنوب بحدود مسافة تقل عن مئة كيلو متر.

إن بلوطة الواردة في النص هي كما يقول المعجم: قرية في جبل ملحان في منطقة المحويت²، أي قريبة من شكيم وتسمى اليوم بلس. واسم قرية بلس الواردة في المعجم يذكرنا باسم فلسطين.

إن مورة الواردة في النص، ليس اسم قرية، إنما هو اسم وادٍ شهير جداً في غربي بلاد اليمن، تأتي بعض فروعه من المنطقة، وقرية بلس تقع على فرع من فروع الوادي دون شك³. أعود إلى التساؤل عن عمل أسرة أبرام، وهل كان لها من اسم منطقتها الأصلية، سحار، نصيب، أي تعاطي السحر، وهل النص الوارد في القرآن حول حرق إبراهيم علاقة بذلك ؟ ليا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم⁴.

يقول سفر التكوين: وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام. وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق فبنى مذبحاً للرب ودعا باسم الرب. ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.

وواضح من النص أن أبرام منذ وقت مبكر بدأ يحلم باغتصاب الأرض من الكنعانيين أهل

¹ المرجع السابق، مادة سخيم.

² المرجع السابق، مادة بلس.

³ المرجع السابق، مادة مور.

⁴ القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية 49.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

البلاد، متخذاً من اتجاه ديني محدد وسيلة لذلك، وهو الاتجاه الذي يمثله بيت إيل.
كما يتضح في النص أن أبرام كان يسكن في خيمة، أي إن البنية الاجتماعية لإبراهيم كانت شبيهة ببنية مجتمع العجر الذين يعيشون حتى اليوم على ممارسة السحر والشعوذة.
ويحدد النص الموقع الذي بنى فيه أبرام خيمته وهو بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق.

إن بيت أيل، هو معبد مدر وهو كان مخصصاً لتقديس القمر يغوث، ضمن الثالوث القديم في ديانة المنطقة، وأبرام حرص منذ البدء على التمسك بهذا المعبد، وإهمال المعبدتين الآخرين، معبد مأرب، ومعبد كوكبان، وواضح أن فكر أبرام كان يعبر عن انشقاق في ديانة البلاد. إن عاي الواردة في النص هي عاهم، وعاهم هو جبل شمالي صنعاء، شرقي المنطقة التي سكنها أبرام سابقاً أي منطقة شكيم، ومياه هذا الجبل تسيل إلى وادي حيران الذي سبق ذكره، والنص غير دقيق تماماً بتحديد موقع جبل عاهم¹، وموقع معبد مدر، فالمعبد من الجنوب، والجبل من الشمال.

والنص يؤكد مرة أخرى طبيعة حياة إبراهيم، التي تقوم على التنقل وحياة الخيمة.
ويستأنف سفر التكوين²: "وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك.
لأن الجوع في الأرض كان شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر³ أنه قال لساراي امرأته إنني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قليني إنك أختي، ليكون لي خير بسببك. وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع لدى أبرام خيراً بسببها.

¹ معجم البلدان والقبائل اليمنية، مادة عاهم.

² سفر التكوين، إصحاح 12.

³ معجم البلدان والقبائل اليمنية، مادة مخا.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتت وجمال. فضرب الرب فرعون وبنيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هي ذي امرأتك، خذها واذهب. وأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامراته وكل ما كان له".

هذا النص يدعم أن أسرة أبرام تنتمي إلى العجر، فتساهل أبرام في عرضه، شبيه بتساهل العجر وهذه حالة مرفوضة عند أهل اليمن.

يفهم من نصوص أوغاريت أن صراعاً مريراً نشأ آنذاك بين دول اليمن: موت وبعل ويم¹ ويقصد بهذه الأسماء حضرموت وكنعان ويا، ولكن علماء الآثار الأفاضل لم يفهموها على هذا النحو جرياً على عاداتهم في فهم تاريخ العرب، ويبدو أن هذا الصراع كان لدولة مصر الفرعونية يد في إنكائه، تلك الدولة التي كانت تحلم بالسيطرة على مدخل البحر الأحمر، وهذا واضح من النصوص المصرية²، إذ تحولت مصر إلى دولة استعمارية وكسبت لجانبها أهل حضرموت وأهل الجانب الإفريقي من جوار باب المنذب.

إن الدور الذي قام به أبرام يتضح فيه دور مصر الفرعونية في تلك الحقبة بغض النظر عن احتمالات الخطأ في فهم سفر التكوين، وفهم الموضوع على غير هذا النحو معناه إعفاء للعقل من فهم التاريخ والدين.

إن مصر الواردة في النص هي موز التي تسمى حالياً مخا³، وهي مدينة مقابل باب المنذب في الجانب اليمني، وهي مثل زبيد في العصور الإسلامية تمثل قاعدة للنشاط السياسي والعسكري المصري في بلاد اليمن.

إن الاسم أبرام يعني أن هذا الرجل ادعى أنه كاهن لمدينة رام أي أرم العاصمة التي تسمى

¹ نصوص من أوغاريت، تأليف الدكتور علي أبو عساف، منشورات وزارة الثقافة السورية، ص 24.

² مصر، تأليف دريوتون وفا نديه، ترجمة محمد شفيق غربال، نشر مكتبة النهضة المصرية، ص 466.

³ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

اليوم مأرب، ولكن سفر لتكوين لا يشير إطلاقاً إلى أن لهذا الرجل صلة بمدينة أرم، وصلته تقتصر على معبد مدر الذي يسميه السفر بيت ايل، وهذا يدل على أنه كان حريصاً على إعطاء نفسه صفة مذهبية منشقة عن ديانة المنطقة.

ومزيداً في إيضاح الصورة نعود لقراءة النص في الإصحاح 13، "وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. واجعل نسلك كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد. قم امش في الأرض طولها وعرضها. لأنني لك أعطيها. فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون وبنى هناك مذبحاً للرب".

إن النص يوجد فيه أخطاء فكلما بلوطات في آخر النص هي بلوطة في النص السابق في الإصحاح 12، وكلمة ممرا في النص السابق، وكلمة حبرون لم يكن لها وجود في الإصحاح السابق ولا شك أن النساخ القدماء قد وضعوا هذه الإضافات.

إن حبرون هو الاسم القديم لمدينة الخليل في فلسطين وهذا الاسم لا يوجد في اليمن، ويوجد في سفر التكوين تصحيحات كثيرة من هذا النوع.

إن النص في الإصحاح 13 يتكرر فيه وعد الرب بإعطاء أرض كنعان لأبرام وذريته فهل هذا الرب الإله لا يقيم وزناً لفكرة الخير والحق حتى يتصرف بحياة الكنعانيين وأرضهم بهذه اللامبالاة؟

لقد برز أبرام على ساحة البلاد، كقوة حربية، لم يكن لها وجود في الأصل. والإصحاح 14 يوضح ذلك. جاء في ذلك الإصحاح، وذلك بعد أن يقص موضوع قيام أربعة ملوك بفرض سيطرتهم على البلاد وإصابة لوط ابن أخي أبرام بأذى. يقول: "فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني. وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الاموري أخي اشكول وأخي عامز وكانوا أصحاب عهد مع أبرام. فلما سمع إبرام أن أخاه سبي، جر غلمانهم المتمرنين ولدان بيته ثلاثئة وثمانية

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

عشر...". هذا النص يسمي أبرام عبراني. والعبراني نسبة إلى عبر، والعبر¹ بلدة في حضرموت قريبة من هود وهذه الإشارة فيها مزيد من التحديد لهوية أبرام. وهذا النص يشير إلى أن أبرام صار عنده جيش من العبيد عدد رجاله 318 رجلاً، فمن أين جاءت هذه القوة وكيف؟.

كما أنه يوضح أن أبرام صار له حلفاء أموريون أي من أهل منطقة وادي مور²، وهؤلاء غير الكنعانيين الذين كانوا يحكمون البلاد. أي إن أبرام صار يظهر على ساحة البلاد كقوة سياسية مضادة للكنعانيين، لها ارتباط بحضرموت فهو عبراني.

في الإصحاح 22 يطرح أبرام فكراً دينياً وسياسياً مختلفاً تماماً عن فكر الكنعانيين. فهو يقوم بزيارة معبد مدر، بيت أيل، ليقدم ابنه ضحية لله، وبأمر من الله يفديه بكبش أي يوقف الفداء الذي كان أهل البلاد يقدمونه تجاه العدو الخارجي.

وفي آخر هذه الزيارة، يعلن تقديس يهوه³، الذي صار أبرز ما يميز الديانة اليهودية.

عبادة يهوه:

اسم يهوه بعد حذف الياء منه، وهو للتعظيم، هو: هوه، وكلمة هوه في اللغة العربية معناها التحذير الشديد الذي يبلغ حد التخويف⁴. ومع أن الشكل الظاهر للكلمة هوه يكاد ينحصر معناه في تخويف البقر، ويكاد يكون خاصاً بهذا الحيوان وبهذا المعنى، فإن الفكر اليهودي القديم ربط الاسم بالقمر الرب ومعبد بيت أيل الذي كان موضع تقديس وتعظيم عند أبرام، كما يتضح في كل نصوص سفر التكوين.

إن الفكر الديني عند أبرام ليس مرتبطاً بموقف جديد عنده ناجم عن زيارته لمصر التي

¹ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة عبر وهود.

² سفر التكوين، إصحاح 22، آية 14.

³ سفر التكوين، إصحاح 22، آية 14.

⁴ لسان العرب، تأليف ابن منظور، نشر دار لسان العرب ببغروت، مادة هوه.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

يتحدث عنها الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، بل الأصح القول إن هذا الفكر كان واضحاً عنده قبل ذلك وإن العامل الذي حركه ودفعه إلى الهجرة من موطنه كان السبب الأساسي عنده في تحرّكه، ويظهر أنه كانت لإبرام رابطة تربطه في منطقة شكيم بقرية بلوطة أي بلس الحالية قادتته إلى ذلك الموقع، الذي استمرت صلته وصلة أولاده به.

ونلاحظ في أسماء المواقع وفي منطقة المحويت، أي منطقة شكيم التي هاجر إليها أبرام وسكن فيها أولاده من بعده اسم موقع يقال له هواع، والاسم قريب من اسم هوه ويقول عنه المرجع: هو موضع أثري بالشمال الغربي من مدينة عمران، وهو أيضاً قرية من ناحية بني سعد في منطقة المحويت¹.

وهنا لابد لي من أن ألاحظ أن اسم أبرام، ومعناه أب رام أي كاهن مدينة إرم، اسم عام لا يرتبط بموقع محدد أو طائفة محددة، مثل اسم شيخ الحالي.

يوجد أكثر من إشارة في النصوص السومرية إلى هواوا أي هوه كما أعتقد، وأبرزها قيام جلجامش بالسفر إلى بلاد الأحياء لقطع أشجار الأرز وجلبها إلى مدينة أرك ببركة أوتو إله الشمس، فأخذ معه خمسين رجلاً من أرك، ولما أبصره هواوا خاف منه وتضرع إليه وإلى أوتو إله الشمس أن يمنحه الحياة ولكن جلجامش لم يرأف به وقتله².

وهذه الإشارة أفهم منها أن هواوا طائفة دينية منشقة عن ديانة تي، أي الشمس، كانت تقيم في جهات أرك أي صنعاء، وهذا الموقع لا يستبعد أن يكون هواع الحالية والاسم الحالي للمنطقة محويت كأنه تثبتت للاسم القديم أرض الأحياء. والنصوص السومرية مثل نصوص سفر التكوين ومثل نصوص اوغاريت، تدور حول بلاد اليمن، الموطن الأصلي لكتابة تلك النصوص.

¹ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة هواع.

² من ألواح سومر، تأليف صمويل كريمر، ترجمة طه باقر، نشر مكتبة المثنى ببغداد، ص 289.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

ويعطينا النص فكرة عن تسلط السحرة على تلك الأرض، يقول النص¹:
فأمسك جلامش بيديه جدياً أبيض لا شية فيه وحمل جدياً أسمر على صدره ليقدمه قربانا
ووضع في يده عصا الفضة...
وقال مخاطباً أوتو السماوي.
يا أوتو أريد أن أدخل هذه الأرض فكن حليفي.
عزمت على دخول أرض الأرز المقطوع فعساك أن تكون حليفي وسندي
اصطكت أسنان هواوا وارتجفت يداه
دعني أقل لك كلمة
يا أوتو إن الأم التي ولدتي لا أعرفها
والأب الذي رباني لا أعرفه
فإنك أنت الذي ولدتي في الأرض وربيتني
قال هواوا لانكبدو
لقد تحدثت إليه بالشر ضدي
أيها الأجير... لقد أشرت إليه بالشر ضدي
فلما فاه بكلامه... قطعاً رقبته

يقول معجم البلدان والقبائل اليمنية، مرجعي الرئيسي لمعرفة المواقع في اليمن: المحويت،
مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة 100 كم، ومن توابعها ناحية حفاش، وناحية
المحويت، وناحية ملحان، وناحية خبت المحويت، وناحية بني سعد، وناحية الرجم، وناحية
الطويلة، وناحية شبام. ولقد سكن أبرام في قرية بلس لتي يسميها سفر التكوين: بلوطة مورة.
وبلس هذه في ناحية ملحان². والملح عند العرب: الحسن. والملاحه هي المبالغة في الحسن.

¹ المرجع السابق، ص 301

² سفر التكوين، الاصحاح 2، الآية 206.

التعريب العدد الحادي والأربعون . المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

وقال الأصمعي: الأملح الأبلق بسواد وبياض، والملحة من الألوان: بياض تشويه شعرات سود، وجعل بعضهم الأملح من الشعر: النقي البياض.

ومن المفيد أن أذكر هنا ما سلف وقلته حول معنى سحار، والمادتان يدعم معناهما الظن أن أبرام من أهل المنطقة، وأنه كان أبيض بياضاً مختلفاً وملحوظاً، وقصة ساراي امرأة أبرام في سفر التكوين تشير إلى ذلك¹، سواء مع ملك مصر أو ملك الكنعانيين.

ومعنى ذلك أن اليهود جماعة عرقية ودينية كانت بالغة التعصب والتشدد في حماية نفسها منذ أمد بعيد يعود إلى ما قبل العصر السومري، تعصبا وتشدداً، أدى بهم إلى تدمير كل شيء يخص الآخرين من أجل بقائهم. إنها عقيدة فريدة في حماية العرق باسم الله، الذي يرسم سفر التكوين صورة بئسة له:

"ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يخرج. فقالت لإبراهيم اطرده هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقوله لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك".

وهذا النص يوضح أن أبرام لم يستطع أن يستوعب جماعة السماعين، التنظيم الديني لديانة الشمس بحكم طبيعة جماعة أبرام العرقية، جماعة يهوه. ويعبر عن فشل أبرام ونزوله عن اسمه الديني أبرام، هذا الاسم الذي يعني أنه كان كاهن العاصمة، أي إنه يخلط الأوراق مع ديانة الشمس، ويرد ذلك في النص الآتي:

"أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل اسمك إبراهيم، لأنني أجعلك أبا لجمهور من الأمم"².

¹ سفر التكوين، الإصحاح 12، الآية 14، الإصحاح 20، الآية 2.

² المرجع السابق، الإصحاح 17، الآية 5.

..... دور اللغة العربية في فهم تاريخ العرب القديم

والحقيقة أن فشل أبرام يتجلى بهجرة ابن ابنه يعقوب مع أولاده إلى مصر، هجرة تشبه الطرد. جاء في الإصحاح 26: "وارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع. وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق. فكلّم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال يعقوب. فقال ها أنذا. فقال أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر لأنني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك"¹.

وموقع بئر سبع هنا يعني منطقة تقع شرقي المحويت حيث كانت قرية بلس موطن أولاد أبرام. ويشير كتاب معجم البلدان إليه، يقول السبيعيان من قبائل شاطب من ناحية ذي بين وهم من قبيلة أرحب التي تعود إلى منطقة مدر في الأصل². ونص سفر التكوين يعني أنهم رحلوا إلى معبد مدر مسافة نحو 70 كم باتجاه الشرق إلى الجنوب ليعبروا عن ولائهم الديني لديانة الشمس. ثم أخذوا اتجاهها إلى الغرب الجنوبي إلى مدينة مصر، أي موزا، وهي مخا الحالية³. وهي قاعدة للنفوذ المصري الفرعوني في اليمن آنذاك.

ويحدد هذا النص المكان الذي سكن فيه أبناء يعقوب: "فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل الأرض في أرض رعمسيس كما أمر فرعون"

وأرض رعمسيس هذه هي وادي رم⁴، وهو وادي مشهور يقع شمالي مدينة زبيد الواقعة إلى الشمال من مدينة مخا أي موزا التي يسميها سفر التكوين مصر. وواضح مدى السقوط الذي انتهت إليه أسرة أبرام، ذلك السقوط الذي أدى بها إلى الهجرة إلى فلسطين قرابة بداية الألف الأول قبل الميلاد.

ويحدد النص التالي بدقة أكبر الموقع الذي سكن فيه أولاد يعقوب: "وسكن إسرائيل في

¹ المرجع السابق، الإصحاح 46، الآية 1.

² معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي مادة السبيعيان، نشر دار الكلمة بصنعاء.

³ سفر التكوين، الإصحاح 46، الآية 11

⁴ معجم البلدان والقبائل اليمنية، تأليف إبراهيم المقحفي، نشر دار الكلمة بصنعاء، مادة رم.

التعريب العدد الحادي والأربعون .المحرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2011م

أرض مصر، في أرض جاسان".

إن أرض جاسان هذه يقول عنها ياقوت الحموي نقلا عن ابن الكلبي غسان: هي ماء باليمن بين رمع وزبيد¹.

ولابد أن فشل أبرام وأولاده له علاقة بالتطورات السياسية التي جرت في دولة مصر الفرعونية، إذ يشير تاريخ مصر الفرعونية إلى بدء تدهور تلك الإمبراطورية بعد سنة 1380 قبل الميلاد، إذ تكشف وثائق تل العمارنة أن آشور في العراق حصلت على استقلالها بهمة ملكها أربيا اداد وملكها اسوروباليت الأول، وعلى الأخص اسورو سنة 1380-1341 قبل الميلاد، وهذا يعني وضع حد لنفوذ دولة مصر الفرعونية في جزيرة العرب. كما يعني تقليص نفوذ الدولة الميتانية التي كانت متعاونة مع دولة مصر الفرعونية في السيطرة على المنطقة². وفي تلك الحقبة أعاد اخناتون دين الشمس إلى مصر: اتون.

¹ معجم البلدان، تأليف ياقوت الحموي، نشر دار صادر ببيروت، مادة غسان.

² مصر، دريتون وفاندييه، ترجمة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، ص 460.